

العلماء والسلطة في الجزائر العثمانية ... دراسة تاريخية للتقارب والقطيعة.

Scholars and the Authority in Ottoman Algeria ... A Historical Study of Convergence and Disconnection

الدكتور عثمان منادي (*)

جامعة محمد الشريف مساعدي سوق اهراس ، (الجزائر)، menadi.athmane@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/08/10 تاريخ القبول: 2022/10/02 تاريخ النشر: 2022/10/11

تسعى هذه الدراسة "العلماء والسلطة في الجزائر العثمانية ... دراسة تاريخية للتقارب والقطيعة" إلى توضيح العلاقة بين العلماء والسلطة بوجهيها سواء بالتقارب أو القطيعة، إذ أن الفترة العثمانية بطول امتدادها وتعاقب مراحلها في الجزائر عرفت مدا وجزرا على صعيد العلاقات بين الحكام والعلماء ورجال الدين .

والباحث المتخصص يلاحظ ان الفترة الأكثر شمولية لتدهور العلاقات بين الطرفين قد تأكدت أواخر القرن الثامن عشر ميلادي وبداية التاسع عشر منه مع إستمرار مراحل متقطعة لعلاقات تبادل المصلحة بين العلماء والمرابطين وشيوخ الزوايا مع الحكام على الأقل في المناسبات الرسمية .

إشتملت مظاهر التقارب منح المناصب والوساطة في الخصومات والمصاهرة والأعفاء من الضرائب ، بينما كانت العزل من المناصب ومصادرة الأملاك ، السجن والنفي ، والقتل أحيانا أهم مظاهر القطيعة.

الملخص

العلماء والسلطة العثمانية - دراسة تاريخية للتقارب والقطيعة- الحكام والعلماء - المستوى الودي والتقارب- المكانة المرموقة للعلماء - الفقهاء ودورهم في السياسة - المناصب السياسية للعلماء - علماء البلاط والحكم - إستمالة العلماء للحكام - مكانة العلماء عند القبائل وعند الحكام - أسباب ومظاهر التوتر بين العلماء والحكام -

الكلمات الدالة

Abstract:

This study "scholars and the authority in Ottoman Algeria ... A historical study of convergence and disconnection" to clarify the relationship between scholars and the authority in both directions, whether by convergence or disconnection, as the Ottoman period along its length and successive stages in Algeria has known changes at the

level of the relations between rulers, scholars and clerics.

The specialized researcher notes that the most globalizing period of the deterioration of relations between the two parties was confirmed in the late eighteenth century AD and the beginning of the nineteenth century, with the continuation of intermittent stages of relations of exchange of interest between scholars, al-Moravids and the spiritual leaders of *Zawaya* with rulers at least on official occasions.

Aspects of rapprochement included the granting of positions and mediation in conflicts, marriages and tax exemptions, while removal from office, confiscation of property, imprisonment and exile, and sometimes murder were the most important aspects of disconnection.

Keywords:

Scholars and Ottoman Authority - A Historical Study of Convergence and Disconnection - Rulers and Scholars - Friendly Level and Convergence - the Prestigious Status of Scholars - Jurists and their Role in Politics - Political Positions of Scholars - Scholars of Court and Governance – Persuasion of Scholars for Rulers - The Position of Scholars among Tribes and Rulers - Causes and Aspects of Tension between Scholars and Rulers -

1. مقدمة:

إن الفترة العثمانية بطول امتدادها وتعاقب مراحلها في الجزائر عرفت مدا وجزرا على صعيد العلاقات بين الحكام والعلماء ورجال الدين وإن الصبغة الأكثر شمولية لتدهور العلاقات بين الطرفين قد تأكدت أواخر القرن الثامن عشر ميلادي وبداية التاسع عشر منه وليس ذلك يعني أنه لم تكن هناك علاقات قائمة بين العلماء والمرابطين وشيوخ الزوايا مع الحكام على الأقل على المستوى الودي والتقارب.

ولم يحظى العلماء بالمكانة المرموقة داخلها فقط بل كانت هناك علاقات ثقافية مع الدول المجاورة كالمغرب الأقصى وتونس تمثلت في تبادل الزيارات العلمية ومنح الاجازات العلمية.
أولاً: العلاقات بين الحكام والعلماء.

1. مظاهر التقارب:

على الرغم من عدم اهتمام السلطة العثمانية بالعلم فلم تكن في الحكومة الجزائرية عندئذ وزير شؤون التعليم أو وكيل أو نحو ذلك من الوظائف الرسمية¹ لا انه هناك بعض الحكام الذين اهتموا بالعلوم وكان لهم تأثير في الجانب الثقافي أمثال.

مُحَمَّد بكداش : (1707م/1118هـ / - 1122هـ/1710م). كان من الذين اهتموا بالعلم فرغم حكم بالإعدام على المفتي احمد بن سعيد قدورة الا انه كان يتقرب من العلماء وكان يتراسل مع أحمد البوني الذي كان يتمتع بسمعة دينية وعلمية ليست في عناية فقط بل من خارجها أيضاً².

صالح باي : (1185 هـ/ 1771 م - 1207 هـ/ 1792 م)

كان عصره عصر نهضة ورخاء فسعى في تجميل العاصمة الشرقية وأنشأ مسجد سيدي الكتاني سنة 1776م والمدرسة الملاحقة له ثم أنشأ لطلبة العلم مدرسة بجوار مسجد سيدي الخضر سنة 1789م حيث قيل انه نظام لوقع بل بنظام المدارس الفرنسية العليا في ذلك العصر ما كان دونه وقد تخرج من هذه المدرسة عدد كبير من رجال العلم³.

اهتم بالتعليم وقرب إليه العلماء ورجال الدين والفقهاء أمثال القاضي الحنفي الشيخ شعبان بن جللول والقاضي المالكي الشيخ العباسي وتوفرت قسنطينة في عهده على خمس مساجد كبرى وخمسين مسجد صغير وثلاث عشر زاوية إلى جانب الكتابات القرآنية الكثيرة وقد خصص للمعلمين والفقهاء والوعاظ والائمة أجورا سنوية قارة من أموال الأوقاف⁴.

مُحَمَّد باي الكبير 1193 / 1212 هـ - 1779 / 1797 م.

هو مُحمَّد بن عثمان الكردي باي وهران قام بأعمال جليلة منها تَهدِيم المسجد العتيق وإعادة بناءه بصفة بديعة وتَجدِيد جامع السوق وإجراءه أيضا خمسين ديناراً ذهباً يقدِّمها لكتاب في علم الطب⁵

وجمع هذا الباي جماعة من الناسخين المشهورين بجودة الحظ يشتعلون بنسخ نقل الكتب النفسية لنسخ الكتب وتعمير مكتبة القصر الخاصة ومكتبة المسجد العامة وقد كان متضلعا للعلوم اللسانية حافظا للأشعار العرب وعلوم الدين وعلم الطب⁶.

من الأسس والمميزات التي اتسمت بها السياسة العثمانية في الجزائر الاعتماد على العلماء والمرابطين وهذا بحمايتهم ومنحهم العديد من الامتيازات وكذلك تقديم الهدايا للتقرب منهم⁷ ومن مظاهر هذا التقارب نجد:

1.1. منح المناصب: أسندت للعلماء مناصب تتناسب مع مكانتهم تمثلت في وظائف دينية وعلمية كالإفتاء والخطابة والامامة بالإضافة أيضا إلى التعليم وغيرها⁸. فمن أشهر الامتيازات والمناصب التي منحها الحكام للعلماء لعائلة الكتروسي التي دعمت وجودهم ونفوذهم بمازونة حيث قدم لها بايات العرب جميع الصلاحيات فحظى افرادها بإدارة المدينة وتولى افرادها مناصب دينية وعلمية رفيعة⁹.

هذا وهناك أيضا بعض الامثلة الاخرى على تولي بعض العلماء للوظائف الدينية ومنها القضاء كالشيخ مُحمَّد بن حواء بن يخلف¹⁰ سعيد بن مُحمَّد العقباني و مُحمَّد بن عبد القادر بن المختار وسيد احمد بن التهامي ومن العلماء أيضا الذين تقلدوا القضاء من بين أو أسرة علمية واحدة نذكر اولاد احمد بن علي بوشنتوف ومن علماء بيت المشارف الذين تولوا أيضا القضاء نجد الشيخ مُحمَّد بن عبد الله سقط والشيخ اعمر التراري المشرفي وغيرهم من علماء هذه الأسرة التي حظيت بمكانة رفيعة لدى السلطة العثمانية¹¹.

2.1. الوساطة:

اعتمدت السلطة العثمانية على أسلوب استمالة العلماء كان بارزا في كثير من الاحيان خاصة مع الاسر العلمية ومن بين هذه الاساليب جعلهم كواسطة بينهم وبين السكان ومن امثلة العلماء نذكر دور مُجد بن سعيد البيدرى التلمساني في الوساطة لدى قبائل ولهامة¹².

ولا يمكن أيضا أن نغفل عن دور الحسين الورثاني الذي تحدث في رحلته عن الفتى التي كثرت بحيث كانت السلطة غائبة في الكثير من المناطق مثل بلاد الزواوة ويظهر انه تدخل في حل الكثير من هذه الفتن بعد استعانة السلطة به وما يوضح ذلك قوله "فانفصلنا عن مقامنا بنية الزيارة وقضاء حوائج بعض المسلمين والفتن والهرج بينهم قوي فيجب على من يقبل منه ان يذهب اليهم ويصلح حالهم..."¹³.

وما حصل أيضا مع الباي بوكابوس الذي رفض السير في الحملة الموجهة ضد تونس ولم عزم هذا الأخير على إهلاك المدينة بعدما عرف بقرار عقابه من طرف الداى فتدخل العلماء الذين توصلوا إليه للرجوع والعدول عن قراره وقد نجحوا في تلك المهمة حيث سلم نفسه لهم ليتم قتله على يد الأغا الذي قطع راسه وسلخه وهو حي وحشو جلده الرأس قطنا وبعثوه للجزائر يعلقوه بعد طويل زمان وقتل اولاده وهم صبيان صغار مع بعض قدامه¹⁴.

3.1. المصاهرة:

كانت المصاهرة وسيلة اعتمدتها السلطة لكسب رجال العلم خاصة البارزين على الساحة كالشيخ مُجد بن دالة الذي ولد عام 1780م حيث ذاع هيئته ووصلت أخباره باي قسنطينة من تقوى واصلاح بين المتخاصمين فعرض عليه الباي وظيفة من الوظائف الدينية لكنه ابي معتذرا وقال (من

الزوايا التي أنشأتها) لكن الباي ألح عليه كثيرا حتى وصل به الأمر والحال أن ماهرة حتى تصدق عليه بإحدى نساء عائلته ليتخذها كزوجة له¹⁵.

كما يمكننا أيضا ذكر مصاهرة أسرة المقراني المرابطية ذات النفوذ الروحي والديني الكبير في منطقة القبائل حيث قام الباي بتزويج بناته لشيوخ ال مقرات¹⁶.

وهذه المصاهرة سمحت له ببسط نفوذه وهيمنته على المنطقة التي كانت تدين بالولاء لعائلة المقراني كما قام أيضا صالح باي بمصاهرة عائلة ابن جلول من خلال تزويجه لإحدى بناته لأحد أفراد العائلة التي كانت قدوتنا القضاء الحنفي وكتابة العدل بمدينة قسنطينة¹⁷.

وزواج الداوي حسين بحفيدة سيد أحمد يوسف الملياني وأيضا نذكر زواج علي خوجة من ابنة المفتي المالكي الحاج مصطفى بن الشيخ مالك عام¹⁸.

وفي سبيل توطيد السلطة العثمانية أيضا لنفوذها وسيط النظام لجأ الحكام إلى المصاهرة مع الأسر العلمية والمرابطية كزواج الداوي شعبان من نفسية بنت العلامة مُجَّد بن عبد المؤمن¹⁹.

ويذكر أيضا أن الداوي حسن باشا (1791-1798م) كان صهرا لباشا كاتب الحاج عمر الذي عزله حفيد الداوي مصطفى باشا بسبب فضاء ابنة أخت الباشا كاتب الزواج منه وقد تزوج مصطفى باشا عندما كان خزانجيا من صهرة خاله حسن باشا²⁰.

أما في بابلك الغرب فالباي مُجَّد المقلش وبعد تأكده من تورطه في حرب الدرقاوة عمد إلى الوسائل الدبلوماسية والدهاء السياسي لانتقاء شوكة الدول المغاربية ودفعها عن حوزته نعمل على مصاهرة الحشم أعظم القبائل المشتقة عن الاتراك وأكثرها انتصارا فكانت بنيه وبين الشيخ قدور ابن الصحراوي مصاهرة كما ارسل إلى هذه القبائل الحبوب أثناء المجاعة التي اجتاحت تلمسان²¹.

4.1. الاعفاء من الضرائب: كان الدايات والبايات يتقربون إلى المرابطين وشيوخ الزوايا ورجال العلم بتقديم الظواهر التي تعفيهم وعائلاتهم من جميع اصناف الضرائب والمطالب المخزنية التي تعددت إلى القدر الذي يصبح ممكن ذكرها²².

ومن الامثلة في ذلك إعفاء مُحمَّد بن حتى واخوانه وبني عمه تدحر برهم من جميع التكاليف المخزنية وذلك من طرف الباي عثمان بن الحاج ابراهيم وقد كتب بذلك نصا بأمر فيه المعظم الجليل المجاهد الكفيل ابي سعيد السيد الحاج عثمان باي الابالة الغريبة وتلمسان عام سبعة وستين ومائة والف أن يحرق مُحمَّد بن حوى واخوانه وبني عمه التجاجنة من جميع التكاليف المخزنية²³.

وقد كان بايات قسنطينة يعفون عددا من الزوايا والاضرحة من دفع الضرائب ومنها زاوية عبد الرحمان الأخضر ي في بنطوس مع ضرورة احترام الناس لعائلة ونسله وقد كان هذا يحتم بايات قسنطينة وقد نالت هذا الاعفاء بعد 114 سنة من وفات مؤسسها الأخضر²⁴.

كما كان يتضح أن الاعفاء من الضرائب كان يتم على العالم وعائلته ويستمر إلى ابنائه والاحفاد مالم تعلن هذه العائلة العصيان والثورة على السلطة هذه الاخيرة التي حرصت دائما على ربط علاقات ودية مع فئة المرابطين وشيوخ الزوايا باعتبارهم يمثلون السكان ويؤثرون السكان ويؤثرون فيهم²⁵.

5.1. الاحترام:

حضي العلماء بمكانة جعلت الكثير من المصادر تشيد وتنوه بما وفي ذلك ما ذكره حمدان خوجة عد لم يكتفي الاتراك بأن فرضوا على انفسهم احترام هؤلاء المرابطين وإنما صاروا يقدمون لهم اكبر الامتيازات واثمنها وصارت أماكن سكنهم وضرائحهم بعد الموت مقدسة كما أن القانون لا يمس كل من لجأ إليها وقد كانت هذه احدى الوسائل التي استعملها الاتراك لكسب ودهم²⁶.

فقد كان الناس يتقون في رجال مما يتقون في رجال السياسة والحرب ولهذا المكانة التي كانت للعلماء كان العثمانيون يقدرونهم ويخشونهم ويتقربون منهم ويمنحونهم الهدايا²⁷.

وقد منح الحكام المرابطين ثقة مطلقة حتى لا يعارضهم أحد لأن السكان كانوا يحترمون المرابطين سواء أحياء أو أموات وكانوا مستعدين لقتل أصدقائهم وحتى أقاربهم إذا احتقروا المرابطين ولهذا السبب عمل رجال السلطة على إظهار الاحترام لهم وقد رفعوا من شأنهم في نظر العامة²⁸.

وقد اعتبرت اضرحتهم ملجأ للفاشرين من القاب لا يطاردونهم فيها وذلك لوقار المكان حتى أن العديد من الحكام استغل لنفسه هذا الامتياز مثل ما فعل الداوي مصطفى بعد عودته من الحملة التي قادها ضد تونس وجد واليا جديدا في مكانه فقام بالقرار إلى ضريح سيدي علي مبارك لكون الباي أوصى باحترامه وعدم التعرض لمن لجأ إليه بحال من الأحوال²⁹.

2. مظاهر القطيعة:

إن الأتراك لم يعيروا أي اهتمام للحركة التعليمية كون أن الدولة كانت لها اهتمامات أخرى انحصرت في الدفاع عن الحدود الجزائرية والحفاظ على استقرارها السياسي وجمع الضرائب لبيت المال وكانت المداخل تصرف على الجيش وموظفي الدولة³⁰.

ولم تكن الدولة تستعمل في نشر التعليم وترقية الثقافة وتنميتها وتنشيطها وإذا فعلت شيئا من ذلك فهو عن طريق الدين³¹.

فلم يكن في الحكومة الجزائرية عند اذن وزير لشؤون التعليم ولا مدير أو وكيل أو نحو ذلك من الوظائف الرسمية اذن فسياسة العثمانيين كانت بعدم التدخل في شؤون التعليم فإذا انتشر التعليم فالأمر لا يعينها وإذا انقلص فالأمر كذلك لا يعينها³².

وإذا لاحظنا أن الأتراك لم يكونوا يعنون بالثقافة مثل عنايتهم بالحرب سندرك أن هذا الازدهار الثقافي قد حققه الجزائريون مدفوعين إلى ذلك بدافع شعوري منبثق من أعماق الشعب³³.

أما بالنسبة لعلاقة الحكام بالعلماء فقد كان التحالف قائم بينهم بهدف حماية الجزائر من خصومات الاسبان وتحرير ما تبقى من الأرض وهران والمرسى الكبير التي بقيت في يد العدو إلى نهاية القرن 18 م ولكن مع تحرير هذه المدينة بدأ التحالف يتلاشى بين الطرفين العسكرية التركية من جهة ومن جهة أخرى العلماء والطرق الصوفية³⁴.

ومن أسباب سوء وتراجع العلاقة أيضا بين الحكام والعلماء السياسة الضريبة حيث مر الاقتصاد الجزائري في نهاية القرن الثامن عشر بأزمة حادة في هذه الفترة تضاعف تأثيرها بتوالي سنوات القحط والجفاف الذي عم مختلف البلاد³⁵، ونتيجة لهذا عرفت مداخيل الدولة انخفاض كبير مما دفع بالدلايات إلى الضغط على السكان للحصول على أموال ومصادر أخرى لتعويض ضرر الخزينة فأثقلت كاهل السكان والقبائل بالمزيد من الضرائب³⁶.

وقد اعتمد البايات الكثير من الحملات العسكرية نحو القبائل التي رفضت الخضوع لهذه السياسة الضريبة ومن أمثلة ذلك الحملات التي قام بها صالح باي على أولاد نايل وأولاد عمور في عام 1770 م ونحو توفرت سنة 1788³⁷.

ومما يلاحظ أيضا أن النظام الضريبي لم يكن عادلا ولا يراعي القائمون عليه ولا طبيعة الإنتاج ولا وضعية الفلاحين وحالتهم³⁸.

ومنذ أواخر القرن السابع عشر اعتمد الحكام أسلوب القوة وعدم مراعاة ظروف الأهالي وتجاهل رأي العلماء الذين لم يتوقفوا عند إزعاج السلطة بحجج تاريخية دينية كونهم حماة الاسلام مدعين هذا بعيوب السلطة والمشاكل التي اضعفت المجتمع فاصبح رجال الدين والطرق الصوفية منافسة غير

مرغوب فيها³⁹، ونتيجة لهذه الأسباب وغيرها تدهورت العلاقات بين الحكام العثمانيين والعلماء ما أدى إلى الصراعات والقطيعة بين الطرفين التي اتخذت عدة أشكال منها:

1.2. القتل:

كان الحكام عندما يتخذون قرار أي فقيه أو مرابط لا تنفع معهم لا توسلات الاهالي ولا تهديدات الاتباع كما كان الحال بالنسبة للمرابط سيدي محمد بن أحمد ابن الغبريني الذي أعدم رغم توسلات الاهالي وتهديدات اتباعه بالثورة⁴⁰.

ومن بين الحكام الذين عرفوا بإسرافهم في قتل العلماء حسن باي وهران الذي قتل عددا منهم مثل الشيخ الحاج محمد البوشيخي بأن علقه بالخشبة بوهران والشيخ بلقندوز سنة 1243هـ والشيخ العلامة السيد ابن عبد الله بن حواء التيجيني شيخ درقاوة وقتل معه السيد فرقان الفلبي اما سعى في قتلهما عند قاضي المحلة فقتلتهما بمقبرة سيدي البشير ودفنا في قبر واحد⁴¹.

ويذكر أيضا أن الباي حسن آخر بايات وهران لم يسلم من بطشه العلماء فلقد ذكر المزارعي إلى تعسفه بقوله "ان هذا الباي لأمر أراده الله قد تجرأ على العلماء والأولياء وكثر ظلمه وسفكه لدماء الأبرياء"⁴².

ومن الأمثلة الأخرى من العلماء الذين تعرضوا للقتل أو الإعدام لذكر منهم المفتي أحمد بن سعيد قدورة حيث كان هذا الأخير في خلاف مع الداي محمد بكداش قبل توليته وعندما تولد منصب الباشا احتجز احمد سعيد قدورة هو وابن اخته علال بن سعيد قدورة⁴³.

حيث تركهما في الحبس من الصباح حتى غروب الشمس في مكان ملئ بالدنس حتى كاد يخنقان ثم قتل الاثنان في الشارع في باب العلوي في شهر ذي الحجة سنة 1128-1715م⁴⁴.

وأيضاً نجد المفتي الحنفي بن مصطفى عرف بإبن المستي حيث حكم عليه الديوان بالموت سنة 1138 هـ وكان قد تولى الإفتاء المالكي عدة مرات غير أن التهمة التي وجهت إليه بقيت غامضة اليه بقيت غامضة ويرى ابو القاسم سعد الله انه ذهب ضحية الانتقام السياسي هو الآخر ⁴⁵.

وهذا الأسلوب وجه أساسا ضد من يهدد استمرار الحكم في الجلوس على عروشهم أو منافسيهم من الزعامات الدينية وخصوصا الثورات التي قادها زعماء الطرف الصوفية على السلطة الحاكمة والتي كانت لها انعكاسات سلبية وعواقب وخيمة بتعر منهم للقتل خصوصا العلماء والفقهاء والمتصوفة ⁴⁶.

2.2. النفي والاهانة :

لقد كان الحكم يسلكون أيضا مع العلماء أيضا طريقة الإرهاب والتخويف ومن الذين خضعوا لهذا الإرهاب الشيخ المهدي بن صالح الذي حكم عليه بالنفي إلى بلاد غير عربية واهنته اهانة بالغة عندما طلب من كل من قدم إليه هدية ان يحضرها فهاجمه خلق كبير ⁴⁷.

ولم يسلم من ذلك أيضا ابوراس نفسه بالإضافة الى علماء ورجال الدين اخريين كالزجاي وحي الدين والد الامير عبد القادر وابن العنابي وبوضياف وابن القندوز ⁴⁸.

ومن الذين تعرضوا للنفي أيضا وبدون سبب وهو القاضي المالكي محمد بن مالك الذي قام مصطفى باشا 1757 بنفيه إلى القليعة بسبب صهره الذي تعدى على الخزانجي وأقام بها ايام لكن تكلم بعض العمال للأمير على أنه من أكابر علماء المسلمين وفرق بينه وبين اولاده فتوسطوا له فعند ذلك سرحه الامير ورجع للبلد ⁴⁹.

كما تعرض الشيخ محي الدين والد الامير عبد القادر للإهانة من قبل الباي حسن من خلال وضعه رفقة ابنه الامير عبد القادر تحت الحراسة و الإقامة الجبرية في وهران خلال توجهه إلى البقاع المقدسة للأداء فريضة الحج⁵⁰.

وهذا ما نجده في أحد المجالس التي عقدت لتقدم للباي التبريكات بعد رجوعه إلى وهران بعد انتصاره على ثورة درقاوة وقد نصب اليه الشيخ محي الدين ليهنته ولما انطلق من عنده قال الباي لجلسائه نحن لا نخشى من ابن الشريف وإنما نخشى من موله هذا وبشير إلى الشيخ محي الدين⁵¹.

3.2. العزل عن المناصب ومصادرة الأملاك:

ان عزل العلماء من مناصبهم غالبا ما كان يخضع لأهواء الحكام وإذا وجدنا استمرار بعض العلماء في مناصبهم مدة طويلة إنما سببه يعود إلى عدم استقرار الدايات انفسهم في الحكم حيث كانوا يعزلون أو يقتلون⁵².

وقد كان العزل كثيرا ما يذم بسبب الوشاية فقد كان الحكام يصدقونها دون التقصي عن الحقيقة وما حدث لأحمد البوني ومفتي عنابة خير دليل حيث سعى خصومهما ضدهما وشاية لدى الباشا الذي صدقها وعزل المفتي وقام بالإساءة إلى البوني فاستنجد البوني بصديقه العنابي في مدينة الجزائر ليتدخل في صالحه لدى السلطان⁵³.

وايضا نذكر بعد ثورة درقاوة على الحكم التركي صار الاتراك يكيلون التهم لجميع رؤساء الدين ولم ينج منها حتى المواليون للاتراك مثل العالم السلفي المؤرخ ابو راس الناصري فأصابته شظايا هذه التهم وعزل عن بعض مناصبه كالإفتاء والقضاء⁵⁴.

وفي بعض الأحيان يكون سببه النزاع بين المفتي الحنفي والمفتي المالكي ففي الكثير من الاوقات كان الحاكم يميل إلى المفتي الحنفي.⁵⁵

كما حدث بين احمد بن سعيد قدورة مفتي المالكية ومُجد التيار مفتي الحنفية حول مسألة الزوجة أن أساء إليها زوجها.⁵⁶

قد ورد عن المزاري فيما يخص المصادرة بقيام الباي الحاج خليل الذي عرف باضطهاده للعلماء والمرابطين على غزو ديار الشيخ ابو ترفاس واخذ منه زاويته التي كانت بنواحي ندرومة وتشريد طلبته بسبب ذلك.⁵⁷

أشار أيضا المزاري إلى تعرض زاوية الشيخ ابو ترفاس للتخريب خلال فترة حكم الباي مُجد بن عثمان لأن شيخها كان مصاهرا للدرقاوي حيث يقول " فعز -الباي-الشيخ أبو ترفاس لما سمع بالدرقاوي عنده على غفلة من الناس.....فزاد الباي للساحل فأخلى منه ما أخلى و قتل ما قتل وخرب قرية ابي ترفاس واحتطب اجنتها فقال له الشيخ أبي ترفاس لما فعلت هذا بنا ونحن جملة من ضعفاء الناس قال له لأن صهرك درقاوي يأوي اليك فأنت مثله.⁵⁸

4.2. الهجرة:

لقد وجد العديد من العلماء ممن سلم من القتل الهجرة والرحيل حلا بحيث غادر ابالة الجزائر جماعة لا يستهان بها من علمائها وأدباءها منهم الشيخ مُجد بن عبد الرحمان البيدري التلمساني قاضي المالكية بتلمسان.⁵⁹

ويتضح لنا كثرة رجال العلم الذين اضطروا إلى الهجرة والاغتراب اثناء فترات عدم الاستقرار والاضطراب السياسي وغياب الامن ولذلك وجد العلماء في الهجرة المنأى والمنى⁶⁰.

كما هاجر إلى المغرب العلامة الشيخ ابو عبد الله محمد بن سعيد التلمساني إثر الاحداث التي شهدتها مدينة تلمسان وذلك عام 1828 عندما رفضت قبائل ولهاصة في تلمسان دفع الضريبة للسلطة العثمانية فأرسل الباي عليهم محلة لاستخلاصها منهم بالقوة الا ان هذه المحلة تعرضت لكمين و أبيدت على اخرها فلما خرج الشيخ محمد بن سعيد لتهدة الوضع اتهم بالتعاطف والتواطؤ مع السكان فخشي على نفسه فقام بالفرار إلى المغرب⁶¹.

وكمثال على الهجرة أيضا علماء تلمسان الذين هاجروا إلى المغرب عقب استيلاء العثمانيين على مملكته بنو زيان ورغم أن هذا الحدث سابق للفترة التي نحن بصدد دراستها إلا أن المؤرخين ييشرون أن هذه الهجرة بقيت في استمرار حتى بعد استقرار العثمانيين بل انها في اواخر العهد العثماني كانت على شكل أسر وعائلات بأكملها⁶².

3. خاتمة:

تسعى هذه الورقة البحثية الموسومة ب: "العلماء والسلطة في الجزائر العثمانية... دراسة تاريخية للتقارب والقطيعة" إلى توضيح العلاقة بين العلماء والسلطة بوجهيها سواء بالتقارب أو القطيعة، إذ أن الفترة العثمانية بطول امتدادها وتعاقب مراحلها في الجزائر عرفت مدا وجزرا على صعيد العلاقات بين الحكام والعلماء ورجال الدين.

والباحث المتخصص يلاحظ ان الفترة الأكثر شمولية لتدهور العلاقات بين الطرفين قد تأكدت أواخر القرن الثامن عشر ميلادي وبداية التاسع عشر منه مع إستمرار مراحل متقطعة لعلاقات تبادل المصلحة بين العلماء والمرابطين وشيوخ الزوايا مع الحكام على الأقل في المناسبات الرسمية .

إشتملت مظاهر التقارب منح المناصب والوساطة في الخصومات والمصاهرة والأعفاء من الضرائب ، بينما كانت العزل من المناصب ومصادرة الأملاك ، السجن والنفي ، والقتل أحيانا أهم مظاهر القطيعة.

4. الهوامش

¹- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998، ص 313.

²- نفسه، ص 413.

³- محمد الطمار: الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر، 2007، ص 252.

⁴- محمد صالح بن العنزي: فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة و استيلائهم على أوطانها، تاريخ قسنطينة، مراجعة و تقديم و تحقيق يحي بوعزيز، طبعة خاصة، عالم المعرفة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2009، ص 64.

⁵- محمد الطمار: مرجع سابق، ص 253.

⁶- نورالدين عبد القادر: مرجع سابق، ص 121.

⁷- عائشة دباح: مرجع سابق، ص 108.

⁸ -Emerit marcel : epid ,p203.

⁹ - فوزية لزغم: البيوتات و الأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني و دورها الثقافي و السياسي (1830-1520) رسالة دكتوراه في التاريخ و الحضارة الاسلامية، كلية العلوم الانسانية و الحضارة الاسلامية، جامعة وهران، 2013-2014، ص 316.

¹⁰ - محمد بن حواء بن يخلف: عرف بعلمه و صلاحه، تولى القضاء أواخر العهد العثماني اشتهر فسخ العديد من الكتب و له مصنف "سبيكة العقبات فيمن في مستغانم و أحوازاها من العلماء و الأعيان: ينظر أحمد بن عبد الرحمان الشقراني الراشدي: القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، تحقيق ناصر الدين سعيدوني، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1991، ص 35-36.

¹¹ - بوجلال قدور: مظاهر التقارب والقطيعة والسلطة العثمانية في بايلك الغرب فترة الدايات (1671-1830م)، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث كلية العلوم الاسلامية والانسانية قسم التاريخ و علم الآثار، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، 2016-2017، ص 197.

¹² - ولهاصة: هي قبيلة تقطن في الغرب الجزائري و تحديدا قرب ولاية تيموشنت و تمتد ديارهم من غرب مدينة رشقون إلى حدود منطقة هنين ، لزغم فوزية، مرجع سابق، ص 547.

¹³ - الحسين بن محمد الورثالين: الرحلة الورثالانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار، ط 1، مجلد 1، مكتب الثقافة الدينية، القاهرة، 2006، ص 18.

¹⁴ - مسلم بن عبد القادر: أنيس الغريب و المسافر، تحقيق و تقديم رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1974، ص 105.

¹⁵ - يحي بو عزيز: أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة، ج1، ط1 دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995، ص 138.

¹⁶ -Emerit marcel : epid ,p203 .

- 17- عبو إبراهيم: العلوم النقلية في الجزائر خلال العهد العثماني 10-13هـ/16-19م، رسالة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث و المعاصر، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، قسم العلوم الانسانية، جامعة جيلالي لباس، سيدي بلعباس، 2017-2018، ص 148.
- 18- أحمد الشريف الزهار: مذكرات أحمد الشريف الزهار، تحقيق أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1974، ص 71.
- 19- عبو إبراهيم: مرجع سابق، ص 147.
- 20- أحمد الشريف الزهار: مصدر سابق، ص 71.
- 21- عبد الرحمان بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج3، ط7، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1994، ص 291.
- 22- أحمد بحري: ضرائب الجزائر العثمانية من خلال بعض الظواهر المازونية، المجلة الجزائرية للمحفوظات، العدد 10، جامعة وهران، 2013، ص 9، 10.
- 23- المزاري ابن عودة: طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و اسبانيا و فرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق و دراسة يحي بوعزيز، ج1، ط1، دار الغرب الاسلامي، 1990، ص 284.
- 24- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص 470.
- 25- بوجلال قدور: مرجع سابق، ص 201.
- 26- حمدان بن عثمان خوجة: مصدر سابق، ص 73.
- 27- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 409.
- 28- رشيدة شكري معمر: العلماء و السلطة العثمانية في الجزائر فترة الدايات (1671-1830)، مرجع سابق، ص 105.
- 29- الأغا بن عودة المزاري: مصدر سابق، ص 315.

- ³⁰ - محمد بن جبور: الحركة العلمية بالجزائر و مشاهير علماء بايلك الغرب في اواخر العهد العثماني (1671-1830)، مجلة الحوار المتوسطي، مجلد 11 العدد 2، جامعة وهران، الجزائر، 2020، ص 96.
- ³¹ - زهية دباب، وردة برويس: السياسة التعليمية في الجزائر في العهد العثماني قراءة سوسيو تاريخية، مجلة العلوم الانسانية، المجلد 21 العدد 1، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2021، ص 189.
- ³² - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص ص 313، 314.
- ³³ - محمد مبارك المليي: مرجع سابق، ص 704.
- ³⁴ - Boyer pierre : contribution à l'étude de la politique religieuse des turcs dans la régence d'Alger (16^{ème} – 19^{ème} siècle), revue de l'occident musulman et de la méditerranée, n°1, 1966, p17.
- ³⁵ - قنان جمال: نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1500-1830)، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، 1987، ص 21.
- ³⁶ - Boyer Pierre : epid, p 18.
- ³⁷ - دباح عائشة: مرجع سابق، ص 121.
- ³⁸ - ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعيدلي: مرجع سابق، ص 33.
- ³⁹ - Filali Kamel : société maraboutique et mysticisme, contribution à l'étude du mouvement maraboutique en Algérie sous la domination Ottoman In Insayyat, N°3 , 1997, pp, 130,131.
- ⁴⁰ - رشيدة شدرى معمر: العلماء و السلطة العثمانية في الجزائر فترة الدايات (1671-1830م)، مرجع سابق، ص 164.
- ⁴¹ - الزباني محمد بن يوسف: دليل الجيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق و تقديم الشيخ المهدي البوعيدلي، ط1، عالم المعرفة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2013، ص 320.
- ⁴² - المزارى ابن عودة: مصدر سابق، ص 352.

- ⁴³ - علال بن سعيد بن إبراهيم قدورة (1118هـ-1706م) قاض من فقهاء المالكية، له مشاركات في بعض العلوم، أعدمه الداوي محمد بكداش مع احمد بن سعيد قدورة و هو قاض على مدينة الجزائر، عادل نويهض: المرجع السابق، ص 259.
- ⁴⁴ - ابن المفتي حسن بن رجب شاوش: تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر و علمائها، دراسة و تحقيق فارس كعوان، دار الحكمة، الجزائر، 2008، ص 106.
- ⁴⁵ - ابو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص 419.
- ⁴⁶ - محمد شاطو: السلطة العثمانية في الجزائر و علاقتها بالطرق الصوفية (1792-1830)، مجلة المواقف للبحوث و الدراسات في المجتمع و التاريخ، العدد 3، 2008، ص 168.
- ⁴⁷ - ابو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 418.
- ⁴⁸ - دباح عائشة: المرجع السابق، ص 124.
- ⁴⁹ - احمد الشريف الزهار: المصدر السابق، ص 82.
- ⁵⁰ - بوجلال قدور: مرجع سابق، ص 303.
- ⁵¹ - المختاري محمد بن المير عبد القادر: تحفة الجزائر في مآثر المير عبد القادر و أخبار الجزائر، المطبعة التجارية عرزوزي و جاويش، الأسكندرية، 1903، ص 76.
- ⁵² - نورالدين عبد القادر: مرجع سابق، ص 284.
- ⁵³ - ابو القاسم سعد الله: تجارب في الأدب و الرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 91.
- ⁵⁴ - ابن سحنون الراشدي: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق و تقديم الشيخ المهدي ابو عبدلي، ط1، عالم المعرفة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2013، ص 49.
- ⁵⁵ - ابو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 393.
- ⁵⁶ - ابن حنفي: مصدر سابق، ص 102.
- ⁵⁷ - ابن عودة المزاري: المصدر السابق، ص 287.

⁵⁸ - نفسه، ص 332، 333.

⁵⁹ - بوجلال قدور: مرجع سابق، ص 299.

⁶⁰ - عميراوي جهيدة: قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2005، ص 56.

⁶¹ - فوزية لرغم: مرجع سابق، ص 313.

⁶² - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، المرجع السابق، ص 425.

5. قائمة المصادر و المراجع:

1. ابن المفتي حسن بن رجب شاوش: تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، دراسة و تحقيق فارس كعوان، دار الحكمة، الجزائر، 2008.
2. ابن سحنون الراشدي: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق و تقديم الشيخ المهدي أبو عبدلي، ط 1، عالم المعرفة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2013.
3. أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1998.
4. أبو القاسم سعد الله: تجارب في الأدب و الرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
5. أحمد الشريف الزهار: مذكرات أحمد الشريف الزهار، تحقيق أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1974.

6. أحمد بحري: ضرائب الجزائر العثمانية من خلال بعض الظواهر المازونية، المجلة الجزائرية للمحفوظات، العدد 10، جامعة وهران، 2013.
7. أحمد بن عبد الرحمان الشقراني الراشدي: القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، تحقيق ناصر الدين سعيدوني، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1991.
8. بوجلال قدور: مظاهر التقارب والقطيعة والسلطة العثمانية في بايلك الغرب فترة الدايات (1671-1830م)، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث كلية العلوم الاسلامية والانسانية قسم التاريخ و علم الآثار، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، 2016-2017.
9. الحسين بن محمد الورثلايني: الرحلة الورثلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار، ط 1، مجلد 1، مكتب الثقافة الدينية، القاهرة، 2006.
10. زهية دباب، وردة برويس: السياسة التعليمية في الجزائر في العهد العثماني قراءة سوسيو تاريخية، مجلة العلوم الانسانية، المجلد 21 العدد 1، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2021.
11. الزباني محمد بن يوسف: دليل الجبران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق و تقديم الشيخ المهدي البوعيدلي، ط1، عالم المعرفة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2013.

12. عبد الرحمان بن مُحمد الجليلي: تاريخ الجزائر العام، ج3، ط7، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1994.
13. عبو إبراهيم: العلوم النقلية في الجزائر خلال العهد العثماني 10-13هـ/19-16م، رسالة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث و المعاصر، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، قسم العلوم الانسانية، جامعة جيلالي ليايس، سيدي بلعباس، 2017-2018.
14. عميراوي جهيدة: قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2005 .
15. فوزية لزغم: البيوتات و الأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني و دورها الثقافي و السياسي (1520-1830) رسالة دكتوراه في التاريخ و الحضارة الاسلامية، كلية العلوم الانسانية و الحضارة الاسلامية، جامعة وهران، 2013-2014.
16. قنان جمال: نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1500-1830)، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، 1987.
17. مُحمد الطمار: الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر، 2007.
18. مُحمد بن جبور: الحركة العلمية بالجزائر و مشاهير علماء بايلك الغرب في اواخر العهد العثماني (1671-1830)، مجلة الحوار المتوسطي، مجلد 11 العدد 2، جامعة وهران، الجزائر، 2020.

19. مُجَد شاطو: السلطة العثمانية في الجزائر و علاقتها بالطرق الصوفية

(1792-1830)، مجلة الموافق للبحوث و الدراسات في المجتمع و التاريخ،

العدد 3،

20. مُجَد صالح بن العنتري: فريدة منسية في حال دخول الترك بلد

قسنطينة و استيلائهم على أوطانها، تاريخ قسنطينة، مراجعة و تقديم و تحقيق

يحي بوعزيز، طبعة خاصة، عالم المعرفة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2009.

21. المختاري مُجَد بن المير عبد القادر: تحفة الجزائر في مآثر المير عبد

القادر و أخبار الجزائر، المطبعة التجارية عزروزي و جاويش، الأسكندرية،

1903.

22. المزاري ابن عودة: طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و

اسبانيا و فرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق و دراسة يحي بوعزيز،

ج1، ط1، دار الغرب الاسلامي، 1990.

23. مسلم بن عبد القادر: أنيس الغريب و المسافرين، تحقيق و تقديم رابح

بونار، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1974.

24. يحي بو عزيز: أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة، ج1،

ط1ن دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995.

- المراجع باللغات الأجنبية:

- Boyer pierre : contribution à l'étude de la politique religieuse des turcs dans la régence

d'Alger(16^{ème} – 19^{ème} siècle), revue de l'occident musulman et de la méditerranée, n°1, 1966.

- Filali Kamel : **société maraboutique ey mysticisme, contribution à l'étude du mouvement maraboutique en Algérie sous la domination Ottoman In Insayyat, N°3 , 1997.**